

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة
سماء فهمى
أراكم فى مرآة روحى
قصص
وزارة الثقافة
كتابة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

أراكم فى مرآةِ روحى

قصص

سماء فهمى

وزارة الثقافة



سلسلة
كتابة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبو المجد
مدير عام النشر
ابتهال العسلي
الإشراف الفني
د. خالد سرور

• أراكم في مرآة روحي
• سماء فهمي
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2014م
• تصميم الغلاف: أحمد الجنايني
• تدقيق لغوي: ياسر المحمدي
• رقم الإيداع: ٥٥٩٩/ ٢٠١٤
• الترقيم الدولي: 978-977-718-676-6
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: 16 أ شارع أمين
سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 27947891 (داخلي: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

25

سلسلة شهرية تعنى بنشر إبداعات الشباب

أراكـم فى مرآةِ روحــى

الإهــداء

إلى هذه الطيّبة المثابرة..

...... أمى.

إلى طيفه الذى لم يفارقنى..

.. طيف أبى.

إلى عالمى....

سعيد.. آلاء.... حامد

(سماء)

كلمتان

- إن كُنا أُكذوبة فنحن أكذوبة من صُنع أنفسنا .

- لا أتمنى جائزة "نوبل" لأن العرب متطفلون عليها .

(الطيب صالح)

لا شيء يبقى على حاله

أحمكت غلق باب سيارتها بعد أن وصلت إلى هدفها المنشود، صعدت برقتها المتناهية إلى أن وصلت إلى أعلى نقطة يمكن الوصول إليها فى هذا التل العتيق، جلست على حافة صغيرة، السماء بألونها الزاهية تداعب ضفيرتيها الناعمتين، وأشجار الكافور تحجب عن عينيها رؤية المارة على الطريق المواجه، الطبيعة كلها تحتفل بعودتها إلى مكانها الطبيعى فى حضنها، الذى افتقدها لفترات طويلة، تغلق فاها بإحكام وتفتح عينيها لتطل على بوابة المستقبل، تلتفت إلى الخلف لثوان معدودات، يمر شريط الذاكرة سريعا فتوقن أنها لم يعد يربطها شىء بحياتها سوى ذلك الخيط الصغير الذى يصل روحها بعقلها.

تلك الذكريات التى عقدتها فى حزمة واحدة، وحملتها فوق عاتقها لتلقيها من سلة مهملات روحها فى سلة مهملات هذا المكان العتيق.

فى هذه الحزمة مجموعة كبيرة من الأوراق القديمة التى أسقطتها عن عمد من شجرة روحها، وأوراق أسقطتها رغمًا عنها من بين ثنايا مشاعرها.

لقد تعلمت الكثير الكثير من تلكم المدرسة الكبيرة -التى يطلق عليها العامة- مدرسة الحياة، فبعد معاناة أدركت أخيراً أن الشاعر الفلسطينى محمود درويش صدق فى جداريته عندما قال:

"لا شيء يُوجِعُنى على باب القيامةِ
لا الزمانُ ولا العواطفُ. لا
أُحِسُّ بخفَّةِ الأشياء أَو ثِقَلِ
الهواجس. لم أَجد أحداً لأسأل:
أَين (أَيْنى) الآن؟ أين مدينةُ
الموتى، وأَين أنا؟ فلا عَدَمٌ
هنا فى اللا هنا.. فى اللازمان،
ولا وُجُودُ"..

حاولت جاهدة أن ترمى تلك الذكريات المهملة خلف شلالات أفكارها، أن تسترق الحياة مرة أخرى براحتيها من بوابة الحياة التى أغلقتها الأيادى الشيطانية منذ أزمان بعيدة، حاولت استرجاع الملائكة من حقولهم السماوية لمداعبة أحلامها مرة أخرى.

فى تلك المنطقة الضعيفة من نفسها، اقتربت من الموت وقاومت كما يقاوم عشاق الحياة، قررت أن تتحول إلى صقر تخطى رحلة الأربعين من عمره، فوق هذا التل ستستعيد حياتها على طريقة الصقور:

ستكسر منقارها، وتخلع عن ذاتها عباءة الريش، وتكسر أظافرها الضعيفة وتنتظر عمراً جديداً تستنشق من خلاله نفخة الروح الجديدة..

تحدق فى الأشياء، تصخ السمع، صوت درويش يعاودها من جداريته:

"من أىَ ريح جئت؟
قولى ما اسمُ جُرْحِكِ أعرف
الطُرُقَ التى سنضيع فيها مَرَتيْن!
وكُلُّ نَبْضٍ فيكِ يُوجعُنى، ويُرْجِعُنى
إلى زَمَنٍ خرافى. ويوجعنى دمى
والملحُ يوجعنى.. ويوجعنى الوريدُ"

دائما ما كانت تخشى الوقوع فى تلك المنطقه المحظورة، كانت تخشى استرجاع الحياة من خلال الموت..

يضيع صوت محمود درويش بين خلايا المكان، قوس قزح يتوسط المشهد، يداعبه النسيم ليرسما لوحة حجرية فى منتصف الطريق المؤدى إلى بوابة العمر الجديد، تلمع عيناها، تتحرك خصلات شعرها، تفتح فمها لتستقبل الهواء البارد بلسانها المبلل بريقها العذب، تفتح حقيبة ذكرياتها بعد أن تنظر للأمام، تمد يدها وهى مغمضة العينين، تحاول جاهدة أن تخرج ذكرياتها برفق حتى لا تجرح إحداها دون عمد، تحرك يدها بهدوء شديد، تمسك بهذه الذكريات، تستل يدها، تبتسم ابتسامة الواثق الراضى، فالقرار صائب، مريح، موجع بعض الوقت.

كثيراً ما كانت تشعر بخوف كبير من كسر حاجز العمق داخل تلك السلة، ولكنها أخيرا استطاعت المضى قدما فى طريقها نحو اللا مرئى من خبايا كيانها..

ذكريات مؤلمة.. ذكريات طيبة.. ذكريات قاتلة.. ذكريات تستحق القتل:

هذا والدى،

هذه أول هدية من أمى،

ابتسامة جدتى،

على هذا الخد كانت قبلة جدى الحنونة،

هذا أخى يبتسم داخل تابوت الموت،

هذه أنا بلا حول ولا قوة،

وتلك صديقتى منى زهرة حياتى،

هذه أزهار حبيبى التى منحنى إياها قائلا: الوداع..

تلك الوداعات التى أرقتنى كثيراً.

حزمت تلك الذكريات أخيرا داخل باقة أنيقة، زينتها بدموع قلبها، ربطتها بخيط رقيق من مشاعرها، أخرجتها جميعا من جعبة روحها إلى الأبد تاركة وراءها دمعة بائسة على وداعها تلك الذكريات..

وقفت أخيرا وهذبت شعرها، استردت أناقتها، وضعت نظارتها السوداء - التى لم تألفها بعد- على عينيها الواسعتين، نظرت للدنيا بعدستين مختلفتين متناسية كل ما حدث.

انطلقت بسيارتها إلى الأمام وهي تردد:
"للولادة وَقْتٌ
وللموت وقتٌ
وللصمت وَقْتٌ
وللنَطق وقْتٌ
وللحرب وقْتٌ
وللصًلحِ وقْتٌ
وللوقتِ وقْتٌ
ولا شيءَ يبقى على حالِهِ"..

على سلّم الذاكرة

البداية هى أصل الأشياء وابتسامة الوجوه العابسة.

البداية دائما تبشر بكل ما هو جميل ومميز ومختلف ومغاير وفريد من نوعه.

البداية طفولتنا البكر وضحكاتنا التى تهبط لها الملائكة من أعنان السماء.

البداية دائما هى الصرخة الأولى، الابتسامة الأولى، يوم الدراسة الأول، الشهادة الأولى، المولود الأول.

تتعدد الأشياء وتبقى البدايات هى سلم الذاكرة الأبدى الذى لا يمكن أن تُكسر درجاته أو تعتليها ذكريات أخرى، فذكريات البدايات لها دائما مذاقها الخاص وعبقها الجميل، ورائحتها التى لا تغيب.

نحن جميعا أبناء تلك البدايات، وكلما ضاقت بنا الحياة بما رحبت عدنا مهرولين إليها لنتمكن من مسايرة الحياة، نتشمم رائحتنا فيها ونستنشق أرواحنا منها.

مرت الأيام سريعا، تمكنت الليالى من خداعنا فجلسنا نتذكر، نتذكر فقط حتى لا نصطدم بالواقع:

هنا تعلمنا

هنا دق جرس الصباح

هنا وقف المدرس ليلقى خطبة اليوم الأول

هنا تناولنا وجبة الفسحة

هنا تقاسمنا ضحكاتنا

هنا وزعنا دموعنا علينا

هنا، فى هذا الركن البعيد عن العالم، تعلمنا معنى الصداقة، تعلمنا كيف نضحك من قلوبنا التى تشبه فى رقتها قلوب العصافير، تعلمنا كيف نطلق النكات البسيطة التى لا علاقة لها بغيرنا، تعلمنا الصدق بمعناه الذى لا تشوبه شائبة، تعلمنا فن الكلام وفن السكوت وفن الفرح.

هنا... تعلمنا كل شيء، ولكن الأيام لم تخبرنا متى سنفترق وكيف ستتلاقى الوجوه.

عشنا سويا، خضنا معركة الحياة سويا، اختلفنا واتفقنا سويا، عشقنا كلمة (أصحاب) سويا، لكن الليالى والسنين لهم طريقتهم الخاصة فى استكمال المسيرة.

مرت الأعوام كأمواج البحر، افترقنا وكلنا أمل فى التلاقى، بقيت صور الحائط معلقة كما هى تغلفها ضحكات القلوب الرائقة، أجندات الذكريات، وريقات الورود المجففة، أقلام الحبر، بقيت على دكك المدرسة أسماؤنا تطل فى وجه محبينا وكارهينا إلى الآن، بقى كل شيء فى مكانه، إلا قلوبنا.

تقابلنا بعد فترات طويلة من الزمن، اختلفت الملامح قليلا، تعرفنا على بعضنا بعد عناء طويل:

إزيك، مش أنت؟

إزيك، مش أنتِ برضه؟

ياااااااااااه الدنيا عامله إيه؟

الحمد لله.

وأنتِ أخبارِك إيه؟

تمام.

اتغيرتى قوى.

وأنت كمان اتغيرت قوى.

ضحكنا ضحكات فاترة، أدرنا ظهورنا وكأننا نريد أن نتخلص من هذه اللحظة التى انتظرناها طويلا، ونحن نقول بصوت متهدج:

سلام.

سلام.

ياااااااااااه، كل هذه الذكريات لم تكن شافعة لمد لقائنا لحظة أو لحظتين.

سلام.

سلام.

كل شيء مضى بهذه السرعة وهذا اليسر، هل الفتور الذى سيطر على لقائنا هو حصيلة السنوات العجاف، نتقابل بهذه الطريقة ونفترق هكذا.

سلام.

سلام.

ذكريات مازالت هى صاحبة اليد العليا على سلم الذاكرة، سعادة كنت أظنها الأبدية فى نوعها، صداقة صادقة ولقاء فاتر لم يتبق منهما إلا:

سلام.

سلام.

هنا القاهرة

اقترب اليوم من لحظات المنتصف، تسير العقارب ببطء شديد إلى مؤشر الثانية ظهرا، فى هذا الوقت تحديدا ذهبت الأستاذة منال إلى الطبيب بعد أن أصابها دوار شديد، بينما كانت تعبر الشارع، امتطى عمى إسماعيل حمارته العرجاء بنية اللون ليتوجه إلى حقله، نزل عمى إسماعيل من فوق حمارته، نظر إلى اتساع الحقل بعين المعجب، في تلك الأثناء وجدت سناء زهرة حمراء في دفتر المحاضرات الذى تركته على (البنش) لتحدث زميلتها أمنية فى أمور خاصة للغاية، أحمد الجالس في قطر الصعيد تظهر عليه حالة من الامتعاض الشديد بعد أن تعرض القطار المتجه إلى القاهرة لحملة من قاطعي الطريق، تمكنت الأستاذة منال من عبور الشارع بعد أن أذنت لها إشارة المرور بذلك، توقف الأستاذ صبحى لحظة ليلتقط

أنفاسه نظرا لشدة الألم الذى أصاب جنبه الأيسر نتيجة سلم العمارة المرتفع ، مدّ عمى إسماعيل يديه إلى سنبلات القمح ، مسكها برقة لم تظهر عليه من قبل ، وضع يده على قلبه وبكى بكاءً حارا ، رن الهاتف فى بيت مدام سارة ، رفعت الهاتف بيدها اليمنى التى تحمل ما يزيد عن خمسمائة جرام من الذهب ، حظيرة بهانة زوجة محمود بائع الفجل تتعرض للسطو ، صراخ فى الشارع المجاور ، نحيب فى تشييع جنازة الأستاذ خالد الذى تعرض لأزمة قلبية بعد مشادة كلامية بينه وبين السيد مدير المصلحة ، زوجة أحمد فى طريقها إلى بيت خالتها ، سناء تحتضن دفتر المحاضرات وتنظر إلى الوردة وعلامات الاستفهام تحيطها من كل اتجاه ، أعلن المذياع أن ماسورة الغاز فى العريش تنفجر للمرة الخامسة ، أعلن الدكتور (س) أن المصاب (ل) قد توفى إثر تعرضه لطلق نارى ، تمكنت الأستاذة منال من الوصول إلى عيادة الطبيب ودفعت الكشف وجلست على كرسى الانتظار ، قامت مجموعة من الشباب بعمل جروب ينادى باستكمال الثورة ، قال عمى إسماعيل فى نفسه لقد أخطأت لأننى لم ألتزم بتعليمات المهندس ، ذهب رأفت لزيارة جده فى قريته النائية ففوجئ بأن السنوات العشرين تمكنوا من تغيير كافة المعالم التى نقشها فى ذاكرته منذ مسافات بعيدة ، وصل الأستاذ صبحى إلى الطابق العاشر من المبنى بشق الأنفس ولم يتبق أمامه إلا طابقان ، تبادل الأستاذ (م) والآنسة (ع) الاتهامات حول أحقية كل منهم فى رئاسة الجروب ، ظهر المذيع على الشاشة بوجه متجهم ليعلن أن

الأيادى المندسة تجيد الكر والفر وأنها وراء الانفجارات المتكررة فى خط العريش، صرخت مدام سارة صرخة مدوية بعد أن سمعت خبر طلاقها على الهاتف، أنهى المشيعون مراسم الدفن، ترحموا على الأستاذ خالد، نظر المدير نظرة المنتصر إلى أصدقائه وأشار إشارة غريبة لم يفهم أيهم معناها، سناء تسترق النظرات من أجندتها بين الحين والآخر، تركت الأستاذة منال كرسى الانتظار ودخلت إلى حجرة الطبيب، بهانة تجلس على المصطبة تندب حظها وخيبة أملها فى تربية الدجاج، أعضاء الجروب يتدخلون أخيرا لحل الأزمة، عمى إسماعيل يمتطى حمارته العرجاء ويعود إلى بيته مغشيا عليه، زوجة أحمد تدخل إلى بيت خالتها مبتسمة فيفاجئها زوج خالتها بخبر زواجه من سعاد الدلالة، أحمد يصرخ داخل قطار الصعيد ولا مجيب، عائلة المتوفى (ل) تعد عدتها للأخذ بالثأر، يصل الأستاذ صبحى إلى الطابق الأخير وفى يده خطاب مكتوب عليه "أعتذر عن الوصول متأخرا"، عمى إسماعيل ينظر إلى عائلته الملتفة من حوله ورائحة البصل تخالط المخاط على شاربه، أعضاء الجروب يعلنون انسحابهم بعد أن فشلوا فى التوصل لحل يرضى الطرفين، الدكتور يبشر منال بخبر حملها، ويحذرها من الحركة الزائدة، عربات الفول تستعد لفض اعتصامها، العقرب يتجه إلى الثانية ودقيقتين، المذيع المتجهم يبتسم أخيرا وهو يقول: هنا القاهرة.

حالة متفردة

في الثانية صباحًا ... جلسا سويا فى الشرفة هربا من حر الصيف ، هو يتأمل النجيمات فى السماء وبين سبابة يمناه ووسطاها سيجارة الكليوباترا ، وفى يده اليسرى كوب من العناب البارد ، أما هى فلا تفعل شيئا سوى أنها تتأمله ، فى الأجواء يأتى صوت الشيخ عبد الباسط وهو يتلو آيات الذكر الحكيم.

يملأ المكان بعنفوانه المعهود، بدا فى جلسته تلك وكأنه القادم من كوكب آخر ، فهو حالة متفردة فى كل شيء حتى فى صمته ، علامات الانتشاء تظهر بين قسمات وجهه ، وهى تستنشق عبيرها من بين أنفاسه.

وبينما هما كذلك إذ بصوت يخترق الفضاء ليقطع خلوتيهما :

- انتو بتعملوا ايه ؟

ينظران فلا يجدان سوى الفراغ، تدير وجهها إليه سائلة إياه:

- أنا عايزه أعرف إيه اللى واخد أفكارك، هوه أنا مش عجباك؟

هو جالس لا يحرك ساكنا ولا يجيب على تساؤلها، يعود إلى النجيمات، يحدق فيها وكأنه يريد أن يتعرف على عددها الحقيقى، أو ربما هنالك حورية من السماء تداعبه، وتناديه ليسبح معها فى هذا العالم الهيولى.

تظهر علامات الغضب على وجه زوجته، تعلو صيحاتها:

- أنا إيه اللى خلانى أرتبط بيك؟

يبتسم ويقبل جبهتها قائلا:

- مراية الحب حولة.

الغبش النورانى يعلن عن اقتراب النهار، ينزل هو من برجه العاجى لينظر ناحية الشارع العميق، يرى القادمين من هناك وهم يهيئون أنفسهم لدخول المسجد، يتعجب وهو يقول فى نفسه، الآن موعد صلاة الفجر فى هذا المسجد، وبعد سويعات قليلة موعد القداس فى هذه الكنيسة.

تقوم هى لتفتح المذياع، يباغتهما المذيع معلنا عن انفجارات مهولة ومروعة وهجوم كاسح لقوات الاحتلال فى الضفة الغربية، تدير المؤشر، يعلن مذيع المحطة الثانية عن انفجارات فى العراق، تدير المؤشر، يعلن المذيع الثالث عن اعتقال مجموعة من نشطاء التحرير، تدير المؤشر يأتى صوت عبد الحليم عاليا وهو يغنى (عدى النهار)، يشير بأصابعه لها، أن اتركيه.

انتشى ونظر ثانية إلى السماء، تعالت صيحات الزوجة، أقام المصلون صلاتهم... تلاشت النجيمات... اقترب موعد القداس، سكت المذياع، تبدلت وجوه المارة آلاف المرات، كل شيء ظل يتحرك في مساره وهو يمعن النظر، ظل ينظر وينظر وينظر، إلى أن رأى الملائكة.


طيف

إنه البيت الكبير، لا يوجد بينى وبينه سوى خطوات قليلة، ولا يجذبنى إليه إلا رائحة ملابسها التى لا تغيب عن أنفى لحظة، ولا يفصلنى عنه غير هذه الوجوه الكئيبة وتلك الأشكال المستعارة التى لا أرى من خلالها إلا النفاق والكذب، تلك هى شرفته التى تباهى بأطفالها الكثيرين كافة الشرفات المجاورة.

أنا وأبناء خالاتى وأخوالى كثيرا ما كنا نجلس فى تلك الشرفة الواسعة، نتسامر ونطلق النكات ونضحك من قلوبنا وكأننا قلب واحد يهتز طربا لأى شىء، نغضب سويا ونبكى سويا ونجوع سويا ونلتف حول (طبليتها) لنسد جوعنا سويّا، ونتنافس جميعا على من سيكون له السبق فى قيادة تلك الكتيبة غير المدربة على أى شىء سوى المحبة، نادرا ما كان يفرقنا شىء،

إلا لويحظات النوم، كنا كطائر النورس، نطير في حلقات ونهبط جماعات ملتفة، وعندما يضج بنا المكان، كان الكل يستشيط غضبا منّا، لتبدأ حالة الهلع في السيطرة على الجميع، الكل يشتكي، الكل يشجب، الكل يتوعدنا بالعقاب، الكل يطردنا من رحمته إلا هي، فكثيرا ما كانت تأتي وابتسامتها الهادئة تغلف قسمات وجهها، وملامحها الطفولية توحي إلينا بعاصفة الطمأنينة التي ننتظرها بفارغ الصبر، تنظر إلينا في حنوها المعهود، تفرد ذراعيها، تبتسم، ننطلق كالطوفان الهادر، تحتضننا جميعا لا أعرف كيف.

يصمت الثائرون، نخرج ألسنتنا في خبث متناهٍ، تزداد ابتسامتها ثم تجلس لنتجمع حولها في شكل أشبه بالدائرة.

نجلس وكأن على رؤوسنا الطير، تبدأ كلامها قائلة:

- (أحكي لكم حدوتة؟)

الكل في سمفونية واحدة:

- نعم.

تبدأ في حالة السرد، تحكي قصة سندريلا والأمير الذى حاربت من أجله، نذوب في عالمها السحرى، ونعيش حالة سندريلا ونتساءل:

لماذا لم يخرج الأمير للبحث عنها؟

وماذا سيحدث إذا لم يجد الأمير سندريلا؟

لقد سمعت وأنا جالسة مع أبي الأسبوع الماضي برنامجا في

الإذاعة عن الحب، قالت المذيعة وصدّق الضيف على قولها حيث وصفا الحب بأنه عطاء وتضحية.

إذًا أين العطاء الذى قدمه الأمير، وما التضحية التى بادر بها؟ إنه بالتأكيد غير جدير بسندريلا.

تستدير، تقطع حبل أفكارى بقصة أخرى.

تسرد لنا قصة الأميرة الجميلة والشاطر حسن، ذلك الشاب الفقير الوسيم الذى يتمتع بالجرأه ويخاطر بنفسه لكى يفك أسرها من براثن والدها الملك.

تعج رأسى بالأفكار ثانية، تغتالنى كمية التساؤلات:

هل يوجد فى أيامنا تلك مثل هذه الحالة؟

الكل يبحث عن المال، عن الجاه والسلطان، الأغنياء لا يتزوجون إلا من الأغنياء، الفقراء يبحثون عن (عريس يكون مبسوط) كما قالت خالتى فى تلك الليلة عن العريس الذى تتمناه لابنتها.

أما هى.. فقد كانت تحكى لنا القصص وتذهب تاركة إيانا فى أرض الحلم البريئة، كل منا ينسج أحلاما وردية، جميعنا الحلم يراوده، جميعنا يفتش عن تحقيق حلمه فى حواديتها.

تتركنا، تذهب لتلقى على غيرنا من حكمتها وتجاربها الثريّة، تنصح، وتوجه، تبعث الأمل، وتربت على ظهر من تعذبه الوجيعة، وتحاول أن تقوى هذه وتشد من أزر هذا... وأنا أراقبها من بعيد.

كبرنا ومرت الأيام والشهور والأعوام، وهى لم تتغير، تبدل كل شيء، جدران البيت، والتراب الذى كنا نجلس عليه، الوجوه نفسها

تبدلت، أطفال غيرنا ملأوا المكان، اعتلى شرفتنا الغرباء، وهى هناك، تسكن بعيدا جدا، مازلت أفتش عن طيفها، كى تربت على كتفي وتشد من أزرى وتفرد ذراعيها لتحتضن الجميع كما كانت تفعل، فتشت كثيرا لكننى لم أجدها إلا هنا، بداخلى، ولم أجد الجميع إلا هناك، كلٌ فى بيته يصارع الحياة وتصارعه.

ويراودها البكاء

أطلّت من شرفتها لترمق العالم من زاويته المختلفة التى لا يمكن لأحد أن يراه من خلالها سواها، نظرت، دققت النظر، وعندما وقعت عيناها عليه اتسعت الحدقات، وازدادت دقات القلب كثيرا، تقريبا زادت ضعف معدلها الطبيعى، فوريقات الشجر أصخت السمع لتصل إليها سيمفونيات هذا القلب المعنّى، أصاب الاحمرار مقلتيها، ظهرت الشرايين الدقيقة فيهما، لحظة مرت عليها وهى فى أعرافها بين الفرح والحزن، يروادها البكاء فى الحالتين، عاصفة الخماسين تجتاح جسدها فى تلك اللويحظات، تنظر نظرات لا يفهم مغزاها، لا يمكن لطبيب نفسى ضالع أن يحدد كنهها، هى نظرات الحزن، لا . . . إنها نظرات الفرح، ويمكن للبعض أن يظنها نظرات الخوف الذى تملّكها.

يسير على عكازه من أمام منزلها، كان صوت منير يجتاح مواكب الصمت التى تخيّم على المكان وهو يغنى لحدّاد أغنية الجيرة والعشرة فى الراديو المتهالك الموجود بالكشك المجاور لبوابة المنزل، يسير بخطى بطيئة للغاية، يداه المرتعشتان تقبضان على رأس عكازه بقوة فولاذية خشية الانفلات، هى تحدد خطواته، تعرفها جيدا، تردد مع منير فى شرفتها:

"فى كل حىّ ولد عتره... وصبيّه حنان

وكلنا جيره وعشره

وأهل وخلان

....

....

يراودها البكاء وهى تردد:

"زمانه ماشى بخطوه يضم

.... زمانها كبرت وبقت أم".

ياااااااااااه، لسه الزمن واقف ولو اتغيرت الملامح.

ينظر بعينيه الصقريتين، يلقى التحية على الجميع، يحييه الجميع ويرحبون به بحفاوة الفاتح وحرارة الغائب منذ أزمان بعيدة.

كانوا جالسين على مقهى (البلد) كما يطلقون عليه، كان يغلب عليهم الحديث الدائر فى القرية آنذاك والصراع بين على بائع الفول وعم محمد صاحب محل البقالة الرئيسى، حيث إن عليّا وضع نصبته أمام محل بقالة عم محمد، لأن هذا المكان كانت أهميته

تكمن في موقعه. صراخ وعويل وأصوات تخترق الفضاء، وعيناها ساهمتان على هذا الوجه الذى حرك بداخلها شيئا دفينا لم يتحرك منذ سنوات كثيرة.

علي يحضر بعض السندوتشات بناء على طلب الأستاذ حمزة الموظف بالإدارة الزراعية، الأستاذ حمزة الذى أدمن الشجار مع زوجته وتعود على هذا الفطور الممزوج بحرارة الصراع، عم محمد يراقب المشهد من خلف فاترينة الجبن، هي تحاول أن تجرب ابتسامتها الغائبة وتخشى أن ترمقها عيناه من بعيد.

عم محمد يخرج من محل البقالة زائرا كالأسد، يباغت عليًّا بصفعة مدوية تهبط على وجهه كالصاعقة، ينزوى على باكيا خلف كشك الفول، تتابع هي خطواته وفي عينيها مرارة السنين العجاف التى تمكنت من تجاوزها بقوة الفرسان وصلابة المحبين.

يلتف الناس حول الاثنين وتنتهى المعركة، يحاول الجمع تطييب خاطر علي الذى استمر يقول "لى رب اسمه الكريم هو اللى هياخد حقى"، في حين تزداد نظرات الانتصار الظالم فى عينى عم محمد، كل هذا وهى لا تأبه إلا به، لا يشغلها شاغل عنه ولا تلفت نظرها مشادة أو مشاجرة، تحدق بشراسة الأسود وبراءة الغزلان.

تتباين الآراء بين مؤيد ومعارض، يرتفع ضجيج الشارع لاتساع رقعة الخلاف، ترتعش أوصالها، مع وقع خطوته الأولى، تهتز من داخلها، تفيض جبهتها بقطرات العرق، يحرك جذعه لليمين

بطريقة لا إرادية، تلتقط عيناه عينيها، يخيّم الصمت على العالم أجمع، يرتفع صوت منير:

"أميره عاقله فى الحجله.. العقل يطير

كانت صغيره بضفيره.. كان هوا صغير

ساعة ما تضحك مع أخوها.. تلاقيه بيغير

ولما ترفع قلتهم... تلاقيه عطشاااااااان"

تجرى نفس الجملة على لسانها كجريان الريق:

يااااااااااه، لسه الزمن واقف ولو اتغيرت الملامح.

ظلت تردد تلك الجملة، تسارعت دقات قلبها، فى حين تسارعت خطواته نحو العربة التى كانت واقفة بانتظاره، نفس العربة التى أقلته منذ عشرين عاما مضت.

"زمانه ماشى بخطوه يضم

زمانها كبرت وبقت أم"

أخرجت من وجنتيها نفس الابتسامة وعادت إلى غرفتها تنتظر من جديد.

هدوء الملائكة

نظرت إليه وهى تتأمله عن قرب، تلتفت وفى عينيها نفس السؤال الذى لم تجد إجابته بعد : أعند هذا الحد تقف حياتنا ؟ !

تزداد أناته، تضطرب وتعاود الحيرة كرتها إلى قلبها، تسرى البرودة فى جسدها، تتحول إلى تمثال، لا تتحرك، لا تتكلم، لا تحرك جفنيها عن وضعهما الثابت، تراودها الدموع، لكن عينيها الجامدتين يخيم عليهما هذا الوضع الرخامى الذى يشبه سفح جبل الأوليمب المكتئب.

تستدير، على مهل تنظر إليه، يقاوم ثقل جفنيه ويعاود رحلة الانتصار التى تعود عليها طيلة حياته، فينتصر على الجمود، يستدير، ينظر إليها، الدهشة القاتلة تخيم على الجميع، حركة بهلوانية من (المروحة) المعلقة فى سقف الغرفة، توحى أن ثمة شيئا كئيبا يقترب من باب القلوب ليقتحمها دون استئناس.

هى تقاوم.

هو يقاوم.

حركة غريبة فى أجواء الحجرة المغلقة.

الأنفاس ثقيلة.

الصدور تصعد وتهبط دون جدوى.

تصل فى حركة بطيئة كحركات أفلام السينما إلى السرير الذى يحتوى بدنه المنهك.

يبتسم، يقبل جبينها الذى تداهمه حرارة الشوق وكأنه جمرة تشتهى قبلة الماء، تنظر إليه بجفنيها المثقلين وهى تعبث بيديه، وتقبلهما برقة المحب الذى يفتش عن الحياة بين أدراج الزمن وأروقة الأرواح.

تخرج صرختها عالية مدويّة: الآآآآن.

يتعجب الجميع.

ينظر إليها قائلا: نعم الآن.

تحتضنه، يعانقها، يصعدان إلى السماء فى هدوء الملائكة.

رســالة

جلس - كعادته- كى يخرج مكنونات قلبه، مد يده داخل ذاته، أخرج ورقة ناصعة البياض، ثم أمسك قلما وأخذ يتمتم وينادى اللاشىء فلا يجيبه إلاه، يدور بنظره، يرمق الأشياء المبعثرة متناهية الصغر، رتابة الغرفة يلفت نظره، العديد من الكتب، الأرفف المتهالكة، المكتب الزان المعتبر الذى اشتراه جده من سوق الجمعة، قرن من الزمان مر ولم يتغير شىء، أى شىء.

كان المكتب فى حالة فوضى تامة يبدو وكأن عاصفة رملية عارمة اجتاحته، الأشياء المتناثرة ضغطت على روحه فلم يكمل ما بدأه، جلس برهة يفكر ثم قام وهو يبدو عليه التملق، قرر أخيرا إعادة ترتيب الأيام التى مرت على هذا المكان ولم يرتبها أحد، رائحة الكتب المغلقة على أسرارها توحى بالعبق الممزوج باللا مبالاة

المقصودة، نظر ثانية ودقق النظر فاستهوته تلك الورقة التى حملت بداخلها ما يميزها، لونها الأزرق الباهت وكمية الأتربة التى استقرت فوقها، ونوع الحبر، وتلاشي بعض الأسطر وخفوت الكلمات، وجمال الخط، مد يده بطريقة عشوائية، أمسكها، انتفض فجأة، بعد أن قرأ: إليك ولدى.

بدا وكأنه رأى شيئا مخيفا، وبرعشة قوية انتابت جميع أعضاء جسده النحيل، بدأ قراءة الورقة.

إنها رسالة كتبت منذ واحد وعشرين عاما، كتبها أبوه إليه وتركها ورحل ككل شيء جميل. تملكته الحيرة، اهتز قليلا، زادت دقات قلبه الخائف من كل شيء، مرر عينيه على أحرف الرسالة الضائعة، قرأ ما تيسر له:

ثق بنفسك أيها المرتعد..........

توقف عن القراءة، نظر إلى صورة أبيه على الحائط، استدار بسرعة مذهلة ليكمل الرسالة، فوقعت عيناه على نفس الكلمات. تهلل وجهه، كان يبدو كمن عثر على كنز ثمين، استهوته قراءة الرسالة مرة ثالثة، جلس ليقرأ ما لم يتمكن من رؤيته:..........

كن أنت.

غرفة عائلية

رائحة الماضى تسيطر على أركانها، رطوبة الجدران مازالت تحتفظ ببقايا الطباشير وأقلام الرصاص المبرية بين طياتها، العناكب الصغيرة تتطاير هنا وهناك كما كانت تفعل معنا أثناء النوم، الباب العتيق المطلى بقلوبنا وحروف أسمائنا يتأرجح كعادته فيصدر صوته المزعج المحبب إلى أرواحنا، زجاج النافذة المشروخ الذى لا يسمح إلا بمرور خيط رفيع من الضوء عبر تعاريج شروخه - التى تشبه خارطة لدولة تم تقسيمها إلى خمسمائة دويلة صغيرة- ما زال بإمكانه أن يحيك لنا فى كل لحظة قصة جديدة عن شيطان لا يمكنه الدخول إلى قلوبنا فيرتد ويعاود الكرّة من شرخ آخر. الفاظة البلاستيكية التى ورثتها جدتى عن أمها التى ورثتها هى الأخرى عن جدتها تحتفظ بشهادة ميلاد جدى الأول وبقايا أحلام متهالكة راودتنى كثيرا وأنا

على كرسيّ الانتظار بين حناياها، عمدان السرير النحاسى المزركشة المركونة بركن الحجرة الأيسر الذى جاهد جدى ليشتريه كهدية عظيمة لجدتى فى ليلة زفافهما، والذى كان بنقوشه فى عين جدتى كلوحة الموناليزا التى تهدئ من روعها فى لحظات الوحدة، الحصائر المصنوعة من نبات البردى، هذه الحصائر التى أنهكت جدتى لتوفير ثمنها لتشتريها لى ولإخوتى حتى تمنع الرطوبة من التسلل لمفاصلنا الصغيرة، الدولاب الخشبى المزركش بالشماعات الفارغة، فضلا عن الشماعة الحديدية التى احتلت ركن الغرفة الأيمن، تلك الشماعة التى اشتراها جدى من سوق الجمعة حينما كان ذاهبا لطلب يد جدتى من أهلها، الكنبة ذات الأقدام المكسورة، هذه الكنبة التى تقف للأيام ندا قويا صلبا قادرا على هزيمتها إذا تطلب الأمر، عروستى القماش التى فصّلتها أمى على يديها من بقايا الملابس القديمة وسهرت ليالى كثيرة لوضع اللمسات المميزة على بدنها لجعلها أفضل عروسة قماش صنعت فى حارتنا الضيقة لتهدينى إياها فى عيد ميلادى الخامس، إبريق أبى النحاسى المعد دائما للوضوء، التشط النحاسى الذى استخدمه جميع الجيران عند زفاف أبنائهم فهو بانيو العريس أو العروسة فى ليلة دخلتهم، لمبة الجاز المطلية بدخان لا أعرف إن كان دخان سجائر أبى (اللف) أم دخان شريطها الذى لم ينطفئ أبدا ليجمعنا فى ليالى الشتاء من البرد ويطمئننا فى ليالى الصيف من الوحشة، صندوق الملابس المليء بقصاصات القماش والفساتين البالية، وبقايا الصراصير والأبراص، ومخلفات

السوس، وشهادات الدراسة المتآكلة، وبقايا الضفائر المنسابة فى أمشاط التسريح، وأكياس السكر وأوراق النشوق والملاعق الفضية، وتذاكر القطار الذى كان يقلّنا إلى المركز لشراء متطلباتنا. وعباءة جدى -عباءة المناسبات السعيدة- وشال جدتى القطيفة، وكردان أمى، ولعبة السلّم والثعبان والحصوات الخمسة التى كنا نلعب بها القال، وزهرات البنفسج التى كانت تجمعها شقيقتى الكبرى من حدائق السراية خلسة لتحتفظ بها فى حصالتها، وبعض المليمات والقروش والعملات الغريبة التى لم أعرف اسمها، وفستان فرح والدتى الذى حاكته جدتى بصبر.

وعكفت عليه تجمع أجمل أنواع الخرز والترتر وأقوى الخيوط لتخرجه من تحت يديها بشكله الذى أدهش كل من رآه فى زفة والدىّ المتواضعة على شاطئ الترعة.

رائحة الماضى توقفنى لأستجمع كافة الأحاديث الليلية حول أبخرة الطعام المتصاعدة من فوهة الحلل الألومونيوم المطلية بسواد الدخان المتصاعد من البابور النحاسى.

أمى: عاملالكم حلّة فتة تحفة.

أنا: جعنا يا أمّى وعصافير بطوننا صوصوت.

أمل "شقيقتى الكبرى": لأ إحنا لازم نستنى أبونا لما ييجى من المحطة.

أحمد "شقيقى الصغير": طيب يا أمّى احكى لنا عن جدتى سعاد شويّه.

أمي: كانت سيدة رائعة..... الباب بيخبط حد يقوم يفتح لأبوكم.

صوت جماعي ممتزج بفرحة عارمة:

... أبونا جه.. في ظل هذا الصخب القديم والحنين الجارف والذكريات المليئة بالسعادة الممتزجة بالحزن يتصاعد صوت أحلام الصغيرة: ماما... ماما... بابا وصل بالعربية... ياللا نمشي من المكان ده.

صوت كلاكسات السيارة يقطع ذكريات صوت بابور الجاز النحاسي، تتداخل الأصوات وتتصارع فيما بينها، تمتزج الروائح على باب الغرفة، رائحة الماضي تبدأ في التلاشي تدريجيا بعد إحكام غلق باب الحجرة على محتوياتها، رائحة وقود السيارة المتصاعد يصيب أنفها بحالة من الزكام المفاجئ ويتصدر المشهد.

خالتى خوخة

كلما ذهبت إلى الميدان تجدها جالسة فى نفس المكان وعلى وجهها تلك الابتسامة العريضة التى لا تفارقه وإذا اقتربت منها تسألك كالطفلة الصغيرة: والنبى يا ابنى أنا مش عارفة انتو عاملين ده كله ليه ما الدنيا حلوه وبخير والناس عايشة وراضية بحالها.

فتسألها على الفور: أمّال انتي جايه هنا ليه؟!

ترد فى لمح البصر مجيبة:

أكل العيش يا ابنى، أنا بقالى سنين من يوم المرحوم أبو محمد ما مات وده مكانى أنا ومحمد ابنى.

وتأخذك نظرة عابرة لترى محمد الذى تشير إليه شابا فى العشرينيات من عمره يقف بجوارها، ومن ملامحه تفهم مدى تأثير عمل والدته عليه.

لكن للمكان تأثير السحر كما يقولون فعندما ننظر إلى ما يحدث نستشعر مدى تأثيره في تغيير فكر أى فرد وهذا ما حدث مع محمد.

ففى يوم وجد محمد فتاة جريحة وبشهامة أولاد البلد - التى يتمتع بها كل مصرى - ذهب محمد لمساعدتها ثم غاب لوقت طويل وفى تلك الأثناء وجدت خالتي خوخة تجمعا كبيرا، وعندما سألت عما يحدث أجابها أحد الموجودين بأنهم ضربوا أحد الشباب الذين كانوا يسارعون لنقل وإسعاف المصابين، أومأت برأسها قائلة: بقى خير تعمل شر تلقى؟!

واقتربت لتشاهد الشاب الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة لتجده محمد ابنها، تمتمت ببضع كلمات قائلة:

حقيقى أنا فهمت دلوقت ليه الناس دى هنا، دا أنا كنت ماشية أنا وابنى جنب الحيط علشان نعيش، أنا من النهارده ليا حق، ومش هاسكت إلا لما أخده، حقى أعيش فى بلدى وأنا مش خايفة، حقى إنى أرفع راسى وأقول أنا من البلد دى، أنا مصرية... حقى إنى أفرح بمحمد ابنى.

الفراشة الزهريّة

فى ذلك المقهى الفاتح ذراعيه للنيل، تجلس الوجوه الضاحكة والوجوه العابسة والوجوه الحزينة، الكل ينتظر ما يجهله، حالة لا مبالاة تخيّم على الكراسى الخاوية، وحالة يأس تتربع على صدور الجالسين، العيون تنظر إلى حيث لا يعلم صاحبها، ترمق ما لا يراه، وتهيم بما لا يعرفه.

جناحان صغيران يسيطران على فضاء الوقت المستهلك، ترفرف بهما وتتراقص هنا وهناك، تحط على ضفائر الفتاة المتمسكة بوردتها، الجالسة فى آخر ركن فى المقهى، المدققة فى صفحات جريدة فتاها الجالس فى الكرسى المقابل، وتطير، وما تلبث أن تداعب شارب العمدة القادم من أقاصى البلاد ليشارك فى فعاليات المؤتمر السنوى ليوم الفلاح المصرى، ثم تحط بجناحيها على الترابيزة الخامسة والعشرين المفعمة بروح الشباب وإطلاق النكات وضحكات القلوب الصافية.

تتراقص فى الهواء بلونها الزهرى وكأنها تتعمد إثارة الفوضى وجذب الانتباه، العيون تترك مسارها التى اعتادت عليه، والوجوه تستدير بحركة لا إرادية، ونادل المقهى يتعثر بالشاى أكثر من مرة بسبب مشاغباتها الطفولية، فيلعن الفراشات وهو يبتسم بخوف لرئيسه.

تحرك جناحيها برقة متناهية وتحمل جسدها الصغير بين قدميها وتبدأ رحلة المداعبة بطرق أخرى، فمرّة تقف على أذن الخمسينى المهندم، ومرّة أخرى تدخل فى فم العجوز المتصابى حينما يتثاءب وتخرج دون أن يشعر بوجودها، فيضحك الجميع، ومرّة تقف على (قفا) صاحب المقهى فينادى بأعلى صوته للصبىّ مهدداً إياه بالطرد إن لم ينظف المكان من الذباب والفراشات المزعجة.

رحلة غير معهودة من المداعبات النبيلة التى لا يقدرها إلا شاعر أو فنان تشكيلى أو موسيقى من زمن الفن الجميل.

يترك الجالسون همومهم خلف ظهورهم، وتنساب الوردة من يد الفتاة، ويسقط الجورنال الذى مر عليه يومان من أمام أعين الفتى، ويظل الشباب على الترابيزة الخامسة والعشرين يتبادلون النكات ويشيرون بأصابعهم لها فى الفضاء علّها تهبط إليهم، الكل يركز إلى أعلى، وهى تخفّ العبء عن جناحيها وتبدأ رحلة الهبوط برفق ورقّة.

تتلاقى الأعين للمرة الأولى، يبتسم العمدة الغارق فى وحشته بين طيات هذا الجو القاهرى للجالسين، ويكفّ الشباب عن نكاتهم التى أماتت قلوبهم من الضحك، وتنظر الفتاة فى عينىّ فتاها ودون

أن يدرى يلتقط ابتسامة عينيها، ويستيقظ النائم المتصابى، ويقف الخمسينى المهندم على قدميه صارخا فى نادل المقهى:

أين العنّاب؟

يلتفت الجميع إلى وجه النادل للمرة الأولى وهو يردّ بخوف شديد:

– حاضر يا بيه.

تتلاقى العيون عند نقطة الارتكاز، التى تحوم حول منقد النار بعد أن أدّت مهمتها ببراعة ودقّة، يقفز شاب لالتقاطها، ولكنها تأبى إلا أن تكون طليقة فى فضاء الله.

يعيد الجالسون كرة النظر فى عيون بعضهم، يطمئن العمدة حينما يشعر بحرارة الابتسامة فى وجوه الآخرين، يصرخ صاحب المقهىّ فى النادل، يرتجف، يربّت الخمسينى المهندم على كتفه قائلا:

– لا تخف منه فالأرزاق بيد الله.

يضحك النادل ويخلع ملابس العمل ويجلس على كرسى رفاقه الشباب ويشير إلى صاحب المقهى آمرًا إياه:

لو سمحت طقم عنّاب لكل اللى قاعدين على حسابى.

يتعالى الضحك وترتفع الصيحات بهتاف واحد:

ارفع راسك فوق.

يقف النادل وعيناه مليئة بالدموع وشفتاه ترغرغ من الفرح الطفولى ويداه ترتعشان هاتفًا:

ارفع راسك فوق.

ارفع راسك فوق.

أراكم فى مرآة روحى

الشارع الآن يكتظ بالسيارات، الشمس تضيّق زاويتها لتواجه الأرض مباشرة دون وسائط، تتزايد الأنفاس وتهيم الأوجه وتتلاقى الأعين وتختلط الأجساد وتتزايد الأبخرة وتتكاثف تلال الدخان وتتراكم الألفاظ النابية بين المارة، جميع طبقات المجتمع تظهر جليّة فى هذا التوقيت، فالشارع الآن يجمع بين دفيته الثمين والرخيص، الجديد والقديم، الطويل والقصير، الأبيض والأسود، الباسم والمكتئب، عربات فارهة وفى المقابل عربات متهالكة، مزيج من الأفكار المتضاربة والرؤى المختلفة والأبدان الحائرة والقلوب المعذبة، كل هذا يسير فى اتجاهات عدة، كل له قلبة هو موليها، إلا وجهها الحائر، فمازال واقفا يفتش عن قبلته التى يبتغيها، عيناها زائغتان ويداها تلوّحان فى الهواء، وأنفاسها متسارعة متلاطمة كموج النهر

عندما يقابل مصبه، فى هذه الأثناء يقف أمامها تاكسى بعد أن تلوح بيمناها تجاهه، يفتح السائق الباب ويُدخلها بعد أن يتعاطف مع حالة الهلع التى تسيطر عليها، تضع يدها على الكنبة الخلفية وتدخل برفق وببطء شديدين حتى تستوى وتعتدل فى جلستها وتتنفس الصعداء وهى تشير وتومئ بعينيها أنها ذاهبة إلى "مصر الجديدة".

يضبط السائق عداده ويبدأ بالسير وهو يحاول تفسير إيماءة هاتين العينين العسليتين، يسترق النظرات من خلال مرآته، يطيل النظر، يراها تطيل النظر إلى الأمام تارة وتارة أخرى تنظر إلى أسفل ثم تستدير إلى اتجاه اليمين ثم اليسار وتعاود كرة النظر إليه مرة أخرى.

تحرك يديها بإشارات غير مفهومة وبطرق ليست منتظمة وفى اتجاهات عشوائية، فمرة يجد يدها على الشباك، ومرة أخرى تلامس كتفه بشكل سريع، ومرة فوق رجليها، يركز السائق فى عينيها ويطيل النظر على خصلات شعرها الحريرى المتطايرة نتيجة مداعبة الريح لها.

تبدأ الهواجس تدب فى نفس السائق، فيبدأ بتحريك حاجبيه عبر المرآة تارة، وتارة أخرى يشغَل الكاسيت ويتراقص على نغمات أغانيه، وتارة أخرى يحرك يده إلى الخلف، لكن يده القصيرة لا تمكنه من الوصول إلى ما يريد، فيعود إلى الطريق بعد سماع الشتائم مع زملائه فى السيارات الأخرى التى كاد أن يصطدم بها

نتيجة عدم انتباهه والتزامه بقواعد القيادة، يسيطر على ذاته وهو يفكّر مليًا فى طريقة جديدة لاختراق هذا الحصن السهل، يضع خطة البدء فى رأسه، والتى سيبدأها بالحديث الناعم، ثم المغازلة الخفيفة، فالموعد - على طريقة الكلاسيكيين-، فى تلك الأثناء يرن هاتفها، تضع يدها على ركبتيها، تلتقط حقيبتها الصغيرة، تخرج الهاتف:

آلو . . . آلو

أين أنتم الآن؟ فى الجيزة؟

توجه كلامها إلى السائق الذى لم يخرج من شارع قصر العينى إلى الآن: أرجو منك تغيير مسارك إلى ميدان الجيزة بدلا من مصر الجديدة.

يبتسم ساخرا وهو يقول فى نفسه: لقد قصّرت المسافة تماما، هى التى بدأت . . أعرف ما يدور فى رأسها الآن، تريد الذهاب معى إلى حديقة الحيوان بالتأكيد.

يكرر مداعبته إياها بتحريك حاجبيه والرقص على نغمات الأغانى السوقية التى يعشقها، ويتعجب من تجهمها فى المرآة.

يكثر السباب مرة أخرى من سائقى السيارات، ويحاول أحدهم الخروج من سيارته لضربه ولكن تشاء الأقدار أن يكسر إشارة المرور دون أن يدرى ويقف الآخر بسيارته.

أمام تمثال نهضة مصر تراوده الفكرة وتلحّ عليه، يقترب من حديقة الحيوان وهو ينظر إليها وينتظر إشارتها التى ستوقفه لتدخله

جنتها، يمر باب الحديقة الرئيسي ولم تومئ له بشيء، يظن أنها ستوقفه عند أشجار أبي قردان ليسيرا في هذه المنطقة الهادئة، يُسكت الكاسيت، يسكت هو الآخر ويتوقف عن الحركة، يحرك أذنيه منتظرا إشارتها.

يرنّ هاتفها، تخرجه مجيبة:

آلو.. أوقف التاكسي؟.. أين أنتم؟ على الطريق المقابل؟

تحرك يدها في الهواء بنفس الطريقة العشوائية طالبة من السائق أن يتوقف لأن أصدقاءها على التلتوار المقابل للتاكسي تماما..

يسأل السائق: وكيف عرفوا التاكسي؟

تجيب: إنهم يترقبون جميع التاكسيات منذ أن أخبروني أنهم هنا حتى رأوني في هذا التاكسي، إنهم في الاتجاه الآخر، تشير بأصابعها بطريقة غير مفهومة:

– هناك.

ينظر ويبدأ في وصف شابين وثلاث فتيات في الناحية الأخرى من الطريق، تباغته سائلة:

– كم الأجرة؟

ينظر إليها وإلى العداد، يجدها تنظر إلى الأعلى، يدقق النظر إلى العداد، فتكرر سؤالها وهي تضع يدها في حقيبتها: كم الأجرة؟

يجيبها – وفي رأسه أكثر من مائة هاجس أهمهم أنها ستخرج صورة لها وكارتا بعنوانها وتليفوناتها وإيميلاتها إن وجد –:

- على حسابنا.

تبتسم: كم الأجرة؟

يخبرها بقيمة الأجرة، تخرج له ورقة فئة مائة جنيه، فيمد يده ليلتقطها، وبعد أن يكتشف قيمة الورقة، يسألها "فكّة" فتجيبه:

- يبقالى عندك الباقى وهى تبتسم ابتسامة طفولية.

يرد فى فرح:

- وأين سأجدك كى أرد لكِ هذا الباقى؟

تجيب:

- فى الدنيا.

وفى هذه اللحظة تخرج من حقيبتها شيئا آخر، وعيناه على الحقيبة وهو على يقين أنها ستخرج عنوانها وأرقام هواتفها، تخرج يدها من الحقيبة بعصاة مطويّة، وتبدأ فى فردها وعيناها إلى أعلى، وهى تسأله من أى الاتجاهات أذهب إلى من قمت بوصفهم - الشابين والثلاث فتيات - يتلعثم لسانه وتجحظ عيناه وترتعش فراديس جسده وهو يمسك يدها ويشير قائلا:

- من هذا الاتجاه.

تبتسم وتتحسس الأسفلت بعصاها وهى تودعه شاكرة على حسن معاملته لها، يتحسس هو بعد لويحظات باب التاكسى ولا يجده، يخرج منديلا من جيبه ويجفف عينيه، ويعود إلى كرسى القيادة وهو لا يعرف إلى أى اتجاه.

أناقـة

من الطبيعى أن تأخذ من الشمس ضياءها ودفأها، ومن الطبيعى أيضا أن تُكملَ أناقتك وبهاءك بوجه امرأة جميلة يرافقك تلك الرحلة الشاقة، ولكن ليس من الطبيعى ألا تتذكر لو للحظة واحدة أن ضياء الشمس الذى تختال به يحمل بداخله نارًا حارقة، وليس من المعقول ألا تتيقن بأننى يومًا ما سأنتزع أحشاءك لأضعها داخل صندوقى الذهبى، وأصنع منها خاتمًا رقيقًا أختال به بين أصابعى، وأتذكر أنك كنت يومًا ما موجودًا هنا بجانبى، وأننى أكملت بك أناقتى الآن.

اليوم خلص

في غرفة الانتظار حالة من الترقب تسيطر على الجميع، الأعين ما تلبث أن تتلاقى حتى تنحسر رؤيتها؛ فتبتعد إلى ما هو أبعد...

أرقام،

أرقام،

أرقام

كل شيء في هذه المساحة الضيقة من الأرض يتحول إلى أرقام جامدة لا تعرف من العاطفة شيئا، أصوات متداخلة، حوارات تتراكم كجبال الجليد فوق بعضها البعض لتكون فقاعات تختلط على الأذن حين اقتحامها إياها...

- إنت منين، بلدك إيه؟

- بلدى....

- آه عارفاها . . .

- مش دى بلد الناس اللى بتحدف بالطوب .

- يا ساااااااااتر .

- لا طبعا . . مين قال كده ، دا كله كلام مالوش أساس من الصحة .

- لا الناس كلها متفقة إنها كده .

- البلد دى بتحدف بالطوب فعلا .

ضحكات عالية تتخلل الجلسة ، الغرفة المغلقة تنفتح على مصراعيها ، حالة من التوتر تسود مرة أخرى ، ترتفع الأصوات . .

- دا دورى

-لأ إحنا هنا من بدرى

- والنبى يا بنتى ما قادرين نقعد .

- طيب ما إحنا حاجزين من الأسبوع اللى فات وما دخلناش .

- بس . . بس . . بس . . كله هيدخل والله ، بس كل واحد برقمه وبدوره فى الورقة .

حالة من الصمت تهيمن على المكان وكأنها لحظة من لحظات الهدنة أو مادة من مواد معاهدة تم الاتفاق عليها لحين النظر فى وثيقتها ومعرفة باقى البنود بعد بزوغ إشعار جديد .

يجلس فى أحد الأركان شاب يتعامل مع الجميع وكأنهم من كواكب غير كوكبه ، حالة الصمت تستهويه فى كل الحالات ، لا يأبه بما يحدث ولا يعنيه ما سيتم ولا ينتظر دورا فى الكشف ، وكأنه أحد مانيكانات المكان .

يشق هذا الصمت غير المطبق صوت أقدام كأقدام النمل، تسير ببطء شديد وتحرك ضفائرها بسرعة غير معتادة وتبتسم في الوجوه، كل وجه على حدة، وكأنها قادمة من الجنة لامتصاص الغضب التي اتشحت به قلوب الحاضرين، ينتبه الجميع إليه ويبتسم الموجودون في وقت واحد ابتسامات مختلفة، منها ما تغلفه البراءة ومنها ما يجتر الحقد اجترارا من القلوب الكريهة، تجلس الطفلة بجوار أبيها وهي ترمق الحضور وترسل فرحتها عبر خطوط التواصل المنبثقة من القلوب العامرة بالمحبة.

يدخل أحد المسنين إلى المكان موجها سؤاله مباشرة إلى الجميع دون أن يميز أحداً:

– فين نورهان؟

تسود حالة من الدهشة على الوجوه العابسة، لتسقط هذه الدهشة بعد إجابة إحدى السيدات:

– نورهان ما جاتش النهارده، أنا هنا مكانها، إيه اللى ممكن أقدمه لحضرتك، تؤمرنا بإيه؟

– لأ أنا كنت باسأل بس، وانتِ اسمك إيه؟

– ترد بابتسامة غير مفهومة، هدى.

تترك الطفلة مكانها وتدور كالنحلة لتوزع السعادة على كل الحضور في أقل من البرق الخاطف ويستوقفها الشاب الساند رأسه إلى ركن الحائط البعيد، تقف أمامه ضاحكة لتخرج له لسانها وتشد أنفه وتقفز على كرسيه المجاور لتصل إلى خصلات شعره الأمامية، يصرخ أبوها فيها:

- عيب .. تعالى هنا .

- مش جايه .

- سيبى شعر عمو .

- دا أقرع .

يضحك أبوها ضحكات خفيفة، يتململ الجبل السائد رأسه إلى ركن الحائط، يحاول بيمناه إبعاد الصغيرة، تصر على شد أنفه واللعب فى خصلات شعره وهى تنظر لأبيها وتقول فى فرح طفولى :

- ماليش دعوه بقى، أنا عايزه من ده .

تضحك البنت الجالسة على الكرسى المواجه للغرفة المغلقة وهى تدندن :

- أنا عايزه من ده يا حزنبل أنا عايزه من ده .

يبتسم الرجل المسن وهو يقول :

- اليوم خلص .

ضحكات عالية تتخلل الجلسة، الغرفة المغلقة تنفتح على مصراعيها، حالة من التوتر تسود مرة أخرى، ترتفع الأصوات ..

- دا دورى

-لأ إحنا هنا من بدرى

- والنبى يا بنتى ما قادرين نقعد .

- طيب ما إحنا حاجزين من الأسبوع اللى فات وما دخلناش .

- بس .. بس .. بس .. كله هيدخل والله، بس كل واحد برقمه وبدوره فى الورقة .

حالة من الصمت تهيمن على المكان وكأنها لحظة من لحظات الهدنة أو مادة من مواد معاهدة تم الاتفاق عليها لحين النظر فى وثيقتها ومعرفة باقى البنود بعد بزوغ إشعار جديد.

- رقم ٢٠ جهّز نفسك.
- مين رقم ٢٠؟
- مين رقم ٢٠؟
- مين رقم ٢٠؟
- مين رقم ٢٠؟
- أنا رقم ٢٠
- أنا رقم ٢٠
- أنا رقم ٢٠
- أنا رقم ٢٠
- لأ رقم عشرين هى فلانة.
- يا بختك يا فلانة.
- عقبال دورنا.
- وإحنا يا ختى.

يطرح والد الطفلة سؤالا وهو يحتضن ابنته بعد إقناعها بترك التمثال المركون على الكرسى فى ركن الصالة، ليدخل الجميع فى حالة من الدهشة والحيرة مرة أخرى:

- هو دور أمل امتى؟
- مالها يا أخويا كفى الله الشر.

- الحمد لله على كل حال.

- دورها جاى إن شاء الله.

- مالها يا أخويا، البنت زى القمر أهه.

- دا الظاهر يا حاجة.

ترد العاملة على تساؤلات الحضور بصوت خافت:

- عندها يكفينا الشر مرض رضى.

يسمع التمثال الساند رأسه إلى الحائط ما يدور فيهتز ويترك مقعده ويجرى على الطفلة ويضمها إلى صدره وهو يقول فى أذنها اليمنى:

- ما تخافيش، كلنا جنبك.

تبتسم الطفلة في وجهه وتلاعب خصلات شعره وهو يلاعبها ويشد أنفها قائلا:

- كدا إحنا بقينا أصحاب يا أمل، مركبنا واحدة يا بنتى.

يلحظ أبوها الأمر ويفهم مضمون احتضان الشاب لابنته فيقوم ليربت على كتف الشاب قائلا:

- احمد ربنا على النعمة اللى انت فيها.

- الحمد لله على كل حال يا أبو أمل، كله من عند ربنا وكله خير إن شاء الله.

الغرفة المغلقة تنفتح على مصراعيها، حالة من التوتر تسود مرة أخرى، ترتفع الأصوات..

- دا دورى

- لأ إحنا هنا من بدرى

- والنبى يا بنتى ما قادرين نقعد .

- طيب ما إحنا حاجزين من الأسبوع اللى فات وما دخلناش .

ثم تخفت الأصوات تدريجيا ليقول الجميع فى آن واحد :

- لأ دا دور أمل .

يرد أبو أمل قائلا :

- وبعدها الأستاذ .

تدخل أمل فاتحة ذراعيها لتحتضن الطبيب المعالج :

- وحشتنى يا عمو ، أنا جيت .

- حبيبتى وصلت .

- زحلانه منك .

- من إيه ؟

- علشان انت جبت لى حقن وجعتنى .

يغلق والدها باب الغرفة ببطء شديد حتى لا ينزعج الحضور .

يترك الشاب مقعده فى ركن الصالة ويسأل الحضور :

- من اللى كان بيقول إن بلدنا بتحدف طوب ؟

تبتسم إحدى السيدات قائلة :

- يوووووووه هو أنت لسّه فاكر .

تضحك العاملة وهى تغمز للرجل المسن بعينها قائلة :

- سيبه والنبى والنبى يا حزنبل .

ليرد المسن عليها :

- اليوم خلص .

سراب مقيت

أمرّ دائمًا بدهاليز روحى لأفتش عنك، أبحث عن ذكراك فى الحنايا، أمعن النظر فى كل الأركان، فلا يمكننى أن أرى منك سوى سراب مقيت يعشش داخل مخيلتى، خط مستقيم من الذكرى لا أعرف مبتداه من منتهاه.

عــذرًا

حاولتَ كثيراً أن تكون أنت أنت، حاولت كثيراً أن أصنع منك روحًا نعبر من خلالها حالك الظلمات، فتعيش الأبدية الحالمة معى، ولكنّى - عذرًا - تناسيت أننا فى نهاية الأمر سنظل هكذا، أنت كما أعرفك وأنا كما تعودت علىّ، كما تناسيت أنه لا أنت أنت ولا أنا أنا، ولا تلك الحياة كانت لنا، فعذرًا يا سرابى المقيت.

عتـــاب

الـوحدة شعـور قاتـل، وحبك لـي شـعور أكـثر قسـوة من القـتل، أما حبي لك فهو اعتزال العالـم.

المحتوى

للنشر في السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة

كتابـــة

12- سيـــرة الـــورد	سالم الشهبانى
13- المملــوك	عمرو الشيخ
14- مَوســـم الكَبْــك	أحمد إبراهيم الشريف
15- وجع الأغـانى	سهى زكـــى
16- بـنت من ورق	نهى محمود
17- أخبـار الأيام الأخيرة	ياسر المحمدى
18- جُوَّايَـا سِـــرّ	محمد عبد المنعم الحناطى
19- الجميلة وفارس الرياح	فكرى عمر
20- كان عمرى ستاشر ربيع	محمد فهمى
21- التَّحَرُرُ مِنْ نَوْبَاتِ الغِيَاب	سامح سكرمة
22- دمٌ لإضاءة الطابق الثانى	أحمد عادل
23- النبـــوءة	أسامة لبيب
24- علـــى دراجـــة	شريف سمير

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)
ت:23904096 - 23952496

أراكم فى مرآة روحى

25

كتابة

سماء فهمى

من الملامح الواضحة فى قصص المجموعة هو استدعاء بعض الملامح الفولكلورية "الريفية" فى ثنايا السرد، وهذا ما أضفى على القصص عمقاً وجمالاً وأسهم فى تزايد نبرة الحنين الموجع الشفيف نحو ماضٍ لن يعود ولو بقيت بعض آثاره كما نجحت الكاتبة فى تضمين بعض النصوص الشعرية والغنائية فى بعض القصص وهو ما أكسب المجموعة حميمية يستشعرها المتلقى وهذه التضمينات موظفة توظيفاً دالاً فى سياقها.

(محمود ذكرى)



الغلاف للفنان أحمد الجنايني

اللوحة للفنانة ANNA SILVONCHIK



الثمن جنيهان